الاِتحاد قوة

23 محرم 1447هـ - 18 يوليو 2025م

إعداد رئيس التحرير: د. أحمد رمضان

الموضـــــــوع

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْوَحْدَةَ أَصْلًا وَالْفُرْقَةَ شُذُوذًا، وَأَمَرَ بِالاِجْتِمَاعِ عَلَى الْحَقِّ، وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ وَالاِخْتِلَافِ، وَشَهِدَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِذَا اتَّحَدَتْ نَصَرَهَا، وَإِذَا تَشَتَّتَتْ خَذَلَهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، جَمَعَ بِهِ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَصَفَّى بِهِ النُّفُوسَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَمَعَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ شَمْلَ الْأُمَّةِ، وَوَحَّدَ بِهِ الصُّفُوفَ، وَكَسَرَ بِهِ أَصْنَامَ التَّعَصُّبِ وَالْحِزْبِيَّةِ وَالتَّفَرُّقِ..

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأُوصِيكُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَنَفْسِيَ الْمُقَصِّرَةَ الْخَاطِئَةَ، بِتَقْوَى اللهِ، فَبِهَا تَجْتَمِعُ الْقُلُوبُ، وَتَتَلَأْلَأُ الْأَرْوَاحُ، وَيَعُمُّ الْخَيْرُ، وَيَسُودُ الْأَمْنُ، وَتَتَحَقَّقُ الْمَحَبَّةُ وَالْأُلْفَةُ.

عناصر الخطبة:

العُنْصرُ الأَوَّل: مَعْنَى الاِتِّحَادِ وَقِيمَتُهُ فِي الشَّرِيعَةِ.

العُنْصرُ الثَّانِي: نَمَاذِجُ نَبَوِيَّةٌ فِي فَضْلِ الاِتِّحَادِ.

العُنْصرُ الثَّالِث: أَثَرُ الاِتِّحَادِ فِي نُهُوضِ الأُمَمِ وَقُوَّةِ الدُّوَلِ.

العُنْصرُ الرَّابِعُ: دَعْوَةٌ لِتَجْدِيدِ وَحْدَتِنَا وَكَسْرِ جُدْرَانِ الْخِلَافِ.

العنصر الخامس: الخطبة الثانية: التَّحْذِيرُ مِنَ العُنْفِ الأُسْرِيِّ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنَّ الْأُمَمَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِاتِّحَادِهَا، وَلَا تَرْتَقِي إِلَّا بِوَحْدَتِهَا، وَلَا تَرْتَفِعُ فِي سُلَّمِ الْعِزِّ إِلَّا إِذَا جَمَعَتْ كَلِمَتَهَا، وَصَفَّتْ صُفُوفَهَا، وَضَرَبَتْ بِالْخِلَافِ وَالتَّشَتُّتِ عُرْضَ الْحَائِطِ.

العُنْصرُ الأَوَّل: مَعْنَى الاِتِّحَادِ وَقِيمَتُهُ فِي الشَّرِيعَةِ

أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ، لَيْسَ الاِتِّحَادُ مُجَرَّدَ كَلِمَةٍ تُرَدَّدُ، وَلَا شِعَارًا يُرْفَعُ، بَلْ هُوَ عَقِيدَةٌ، وَمَنْهَجٌ، وَأَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ، وَفَرِيضَةٌ يُثَابُ الْعَبْدُ عَلَيْهَا إِذَا قَامَ بِهَا، وَيَأْثَمُ إِذَا نَقَضَهَا أَوْ تَسَبَّبَ فِي زَعْزَعَتِهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 92] ، وَقَالَ جَلَّ فِي عُلَاهُ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: 103] ، فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرِ بِالْمَحَبَّةِ وَالْوَحْدَةِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالتَّشَتُّتِ.

ففِي الْآيَةِ أَمْرٌ صَرِيحٌ بِالِاتِّحَادِ، بأن لَا نكون فُرَادَى وَلَا مَجْزُوئِينَ، بَلْ قَالَ: "جَمِيعًا"، وَمَعْنَى "حَبْلِ اللهِ" فِي أَقْوَالِ السَّلَفِ: كِتَابُهُ، وَدِينُهُ، وَطَاعَتُهُ، وَالْجَمَاعَةُ الَّتِي عَلَى الْحَقِّ.

فَكُلُّهَا تَجْتَمِعُ عَلَى وَحدة الْمَرْجِعِ، وَوُجُوبِ الِارْتِبَاطِ بِالْوَحْيَيْنِ، وَنَبْذِ كُلِّ هَوًى يُفَرِّقُ.

وَلَقَدْ وَقَعَتْ قِصَّةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ مُؤَثِّرَةٌ تُفَسِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ، فَفِي "السِّيرَةِ" يُرْوَى أَنَّ «شَاسَ بْنَ قَيْسٍ» الْيَهُودِيَّ مَرَّ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ لَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْعَدَاوَةِ، فَقَالَ: مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا مِنْ قَرَارٍ، ثُمَّ أَمَرَ شَابًّا مِنَ الْيَهُودِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيْهِمْ، وَيُذَكِّرَهُمْ يَوْمَ «بُعَاثٍ»، وَيُنْشِدَهُمْ بَعْضَ مَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ - وَكَانَ يَوْمًا اقْتَتَلَ فِيهِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، وَكَانَ الظَّفَرُ فِيهِ لِلْأَوْسِ - فَفَعَلَ، فَتَنَازَعَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَتَفَاخَرُوا، وَتَغَاضَبُوا، وَقَالُوا: السِّلَاحَ السِّلَاحَ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، بَعْدَ أَنْ أَكْرَمَكُمُ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَلَّفَ بَيْنَكُمْ؟»، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا كَانَتْ نَزْعَةً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدًا مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَأَلْقَوْا السِّلَاحَ، وَبَكَوْا، وَعَانَقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}... الآيَةَ. المصدر :تفسير الطبري)٥/٦٢٧).

وَقَدْ فَهِمَ السَّلَفُ الْمَعْنَى الْعَظِيمَ لِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عليكم بالجماعة؛ فإن يد الله على الجماعة، وكان يُرغب في الجماعة.... أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (46/ 408 - 409)

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي "صَحِيحِهِ" أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا"، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، فَمَا أَبْلَغَهُ مِنْ تَصْوِيرٍ، وَمَا أَعْجَبَهُ مِنْ تَشْبِيهٍ!

فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ يُصَوِّرُ النَّبِيُّ ﷺ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَعَاوُنِهِمْ وَتَكَاتُفِهِمْ بِصُورَةٍ بَلِيغَةٍ مَلِيئَةٍ بِالْمَعَانِي.

فَتَشْبِيهُهُمْ بِالْبُنْيَانِ:

يُشِيرُ إِلَى أَنَّ كُلَّ مُؤْمِنٍ فِي الْأُمَّةِ لَهُ دَوْرٌ وَظِيفِيٌّ، كَحَجَرٍ فِي جِدَارٍ، لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ، وَلَا يُسْتَقَلُّ بِهِ. فَإِذَا غَابَ دَوْرُهُ، خَلَّفَ فُرْجَةً، وَضَعُفَ الْبِنَاءُ.

وَقَوْلُهُ: "يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا":

فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُقَوِّي أَخَاهُ، وَيَعِينُهُ، وَيُسَانِدُهُ فِي الْمِحَنِ وَالْمُلِمَّاتِ، كَمَا تُسَانِدُ الْحِجَارَةُ بَعْضَهَا فِي الْبِنَاءِ، فَلَا يَمِيلُ جَانِبٌ إِلَّا وَسَانَدَهُ الْآخَرُ.

وَفِعْلُهُ ﷺ – حِينَ شَبَّكَ أَصَابِعَهُ –:

صُورَةٌ حِسِّيَّةٌ تُجَسِّدُ الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هَكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأُمَّةُ:

أَصَابِعُ مُخْتَلِفَةٌ فِي الْمَكَانِ، مُتَنَوِّعَةٌ فِي الشَّكْلِ، وَلَكِنَّهَا تَجْتَمِعُ فِي يَدٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَتَفَكَّكُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلَا يَنْفَصِلُ أَحَدُهَا عَنِ الْبَقِيَّةِ.

إِنَّ الْأُمَّةَ لَا تَزَالُ فِي خَيْرٍ مَا دَامَتْ قَلْبًا وَاحِدًا، وَكَلِمَةً وَاحِدَةً، تَتَفَاعَلُ فِيهَا الْقُوَى، وَتَنْصَهِرُ فِيهَا الْمَصَالِحُ، وَتَتَحَدَّدُ فِيهَا الْأَهْدَافُ.

العُنْصُرُ الثَّانِي: نَمَاذِجُ نَبَوِيَّةٌ فِي فَضْلِ الاِتِّحَادِ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَدَبَّرَ فِي حَيَاتِهِ وَمَنَاهِجِهِ، رَآهَا مَزَارِعَ لِرُوحِ الْوَحْدَةِ، وَمَعَاقِلَ لِمَعَانِي الْمَحَبَّةِ وَالْمُؤَاخَاةِ، فَكُلُّ خُطُوَاتِهِ ﷺ كَانَتْ تَبْنِي أُمَّةً وَاحِدَةً، لَا تَفْرِقُهَا الْأَلْوَانُ، وَلَا تُمَزِّقُهَا الْأَنْسَابُ، وَلَا تُفَكِّكُهَا الْمَصَالِحُ الضَّيِّقَةُ.. فَعِنْدَمَا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، لَمْ يَبْنِ الْمَسْجِدَ فَقَطْ، بَلْ بَنَى الْمُجْتَمَعَ الْوَاحِدَ وَالْأُمَّةَ الواحدة فَآخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَالَ: "تَآخَوْا فِي اللهِ أَخَوَيْنِ". [السيرة لابن هشام والتاريخ الكبير لابن أبي خيثمة] فَكَانَتْ هَذِهِ الْمُؤَاخَاةُ مِنْ أَعْظَمِ الْوُثُقِ الَّتِي رَبَطَتْ بَيْنَ الْقُلُوبِ، وَأَذَابَتْ مَا كَانَ مِنْ خِلَافٍ وَعَصَبِيَّةٍ

وَرَوَى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ "، فَكَانَ السَّلَامُ فِي دَوْلَتِهِ ﷺ نَافِذَةً لِلْوَصْلِ، وَرَابِطًا لِلْأُخُوَّةِ، وَمِفْتَاحًا لِلِاتِّحَادِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ حَيَاةَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ نَمُوذَجًا رَائِعًا لِكَيْفِيَّةِ بِنَاءِ الْوَحْدَةِ وَتَثْبِيتِهَا فَقَدْ حَارَبَ كُلَّ مَا يُفَكِّكُ الْمَجْتَمَعَ، وَقَضَى عَلَى الْعَصَبِيَّاتِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَذَابَ الْفُرْقَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، وَأَسَّسَ لِمُجْتَمَعٍ يُقَدِّرُ الْإِنسَانَ لِإِيمَانِهِ، لَا لِنَسَبِهِ وَلَا لِلَوْنِهِ وَلَا لِقَبِيلَتِهِ.

فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، خَطَبَ خُطْبَتَهُ الْمَشْهُورَةَ، وَقَالَ فِيهَا: "أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى" [رواه أحمد بإسناد صحيح]، فَذَوَّبَ فَوَارِقَ اللَّوْنِ وَالْقَوْمِيَّةِ، وَجَعَلَ الْوَحْدَةَ فَوْقَ الْعِرْقِ وَاللِّسَانِ.

وَفِي فَتْحِ مَكَّةَ، حِينَ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ فِي أَعْظَمِ نَصْرٍ، لَمْ يَكُنْ هَمُّهُ الِانْتِقَامَ وَلَا التَّشَفِّي، بَلْ قَالَ لِقُرَيْشٍ وَقَدْ اجْتَمَعُوا: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء" [السيرة لابن هِشَام]، فَبِالْعَفْوِ وَالْحِلْمِ مَعَ شَمْلَهُمْ، وَبِالْمَحَبَّةِ بَنَى وَحْدَتَهُمْ.

فَإِذَا أَرَدْنَا الْوَحْدَةَ، فَلْنَقْرَأْ سِيرَتَهُ ﷺ، وَلْنَسْلُكْ دَرْبَهُ، وَلْنَقْتَدِ بِهِ فِي إِذَابَةِ الْخِلَافِ، وَإِحْيَاءِ الْحِوَارِ، وَتَأْسِيسِ الْمَحَبَّةِ..

العُنْصُرُ الثَّالِثُ: أَثَرُ الِاتِّحَادِ فِي نُهُوضِ الأُمَمِ وَقُوَّةِ الدُّوَلِ.

إِخْوَتِي الْكِرَامَ، إِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ بَنَى الْوَحْدَةَ فِي نُفُوسِ أَصْحَابِهِ، وَأَسَّسَ لَهَا فِي سُلُوكِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ، فَإِنَّهُ قَدْ أَرَادَهَا ﷺ أَنْ تَكُونَ مِعْيَارَ النُّهُوضِ، وَبِنَايَةَ الْأُمَمِ، وَقَاعِدَةَ التَّمْكِينِ. فَالْوَحْدَةُ لَيْسَتْ شِعَارًا فَقَطْ، بَلْ هِيَ سُلَّمُ النَّجَاةِ، وَمِفْتَاحُ الْمَجْدِ، وَذَلِكَ مَا شَهِدَتْ بِهِ التَّارِيخُ، وَقَرَّرَهُ الْوَحْيُ الْمُنَزَّلُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَصْوِيرٌ دَقِيقٌ لِأَثَرِ الْفُرْقَةِ فِي إِضْعَافِ الْأُمَمِ، فَـ"الرِّيحُ" هُنَا هِيَ الْقُوَّةُ وَالْهَيْبَةُ وَالْمَنَعَةُ، فَإِذَا افْتَرَقَ الْمُجْتَمَعُ، ذَهَبَ نَصِيبُهُ مِنَ الْقُوَّةِ، وَأَصْبَحَ صَيْدًا سَهْلًا لِلْأَعَادِي.

وَمَا أَجْمَلَ مَا قَالَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِينَ أَدْرَكَ حَقِيقَةَ الْعِزَّةِ:

"إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ" [الحاكم في المستدرك وقال: على صحيح شرط الشيخين].

فَكَيْفَ لَا نَرَاهُ يُوَجِّهُ جُيُوشَ الْفُتُوحِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ، وَيَضَعُ قَاعِدَةَ الدَّوْلَةِ عَلَى مِحْوَرِ الْوَحْدَةِ، بِلَا مَجَالٍ لِفِرْقَةٍ، أَوْ تَشَتُّتٍ.

تَأَمَّلُوا مَعِي، يَا من يرحَمكُمُ اللهُ، مَا وَقَعَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ، حِينَ تَفَاخَرَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ بِعَدَدِهَا، وَأَعْجَبَهُمْ كَثْرَتُهُمْ، فَانْهَزَمُوا فِي الْبَدْءِ، حَتَّى نَادَى النَّبِيُّ ﷺ: **"يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"، فَثَابُوا إِلَيْهِ، وَانْتَظَمَ الصَّفُّ، فَكَانَ النَّصْرُ بَعْدَ أَنْ كَانَتِ الْهَزِيمَةُ.** [انظر صحيح البخاري 4333].

فَبِالِاجْتِمَاعِ وَالِاتِّحَادِ عَادَتِ الْقُوَّةُ، وَبِالتَّفَرُّقِ كَانَ الْخَذَلَانُ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَا خَيْرَ فِي قَوْمٍ لَا يَتَنَاصَحُونَ، وَلَا خَيْرَ فِي نَصِيحَةٍ لَا تُرَادُ بِهَا الْوَحْدَةُ.

وَفِي رِسَالَةِ الْمُسْتَرْشِدِينَ لِلْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ صَفْحَةَ ٧١، لِعُمَرَبْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِاللَّفْظِ: «لَا خَيْرَفِي قَوْمٍ لَيْسُوا بِنَاصِحِينَ، وَلَا خَيْرَفِي قَوْمٍ لَا يُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ.»

فَالِاتِّحَادُ يَبْنِي، وَالتَّفَرُّقُ يَهْدِمُ، وَالْجَمَاعَةُ تَصْنَعُ الْمَجْدَ، وَالْفُرْقَةُ تَجْلِبُ الذُّلَّ وَالْهَوَانَ.

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "إِذَا تَفَرَّقَتِ الْآرَاءُ ضَعُفَتِ الدُّوَلُ، وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْكَلِمَةُ قَوِيَ الْبِنَاءُ".

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: "إِنَّ حَصَاةً وَاحِدَةً لَا تَصْنَعُ سَدًّا، وَلَكِنَّ الْحِصَاةَ إِذَا اجْتَمَعَتْ بَنَتْ جِدَارًا يُحْتَرَمُ".

وفِي عَهْدِ صَلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ، لَمْ يَكُنْ أَوَّلَ خُطُوَاتِهِ نَحْوَ تَحْرِيرِ الْقُدْسِ هُوَ الْجِهَادُ، بَلْ كَانَ جَمْعَ شَمْلِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَوْحِيدَ الْجُبْهَةِ، وَكَبْتَ الْفِتَنِ. فَلَمَّا تَآلَفَتِ الْقُلُوبُ، وَانْصَهَرَتِ الْقَبَائِلُ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، كَانَ النَّصْرُ فِي "حِطِّين"، وَرُفِعَتِ الرَّايَةُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

العُنْصُرُ الرَّابِعُ: دَعْوَةٌ لِتَجْدِيدِ وَحْدَتِنَا وَكَسْرِ جُدْرَانِ الْخِلَافِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، إِنَّهُ بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا فِي الْعُنْصُرِ السَّابِقِ كَيْفَ كَانَ الْاِتِّحَادُ سَبِيلًا لِلنُّهُوضِ، وَدَعَامَةً لِبِنَاءِ الْأُمَمِ وَالْحَضَارَاتِ، وَكَيْفَ كَانَ السَّلَفُ يُقَدِّمُونَ مَصَالِحَ الْأُمَّةِ عَلَى الْمَنَازِعَاتِ، وَالْجَمَاعَةَ عَلَى الْخِلَافِ، نَصِلُ الْيَوْمَ إِلَى دَعْوَةٍ حَارَّةٍ، وَصَرْخَةٍ صَادِقَةٍ، لِنُجَدِّدَ فِيهَا الْوَحْدَةَ، وَنَكْسِرَ فِيهَا جُدْرَانَ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

لقد آن الأوانُ لِصرخةِ صدقٍ تُنادينا جميعًا: أَلَا يَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ، جَدِّدِي وَحْدَتَكِ، وَاكْسِرِي جُدْرَانَ خِلَافِكِ، وَاخْلَعِي عَوَائِقَ الْفُرْقَةِ وَالتَّشَظِّي. آنَ لَنَا أَنْ نَفُوقَ مِنْ سُبَاتِ التَّشَاتُمِ وَالتَّنَابُزِ، وَنَنْهَضَ لِنُرَمِّمَ جُدْرَانَ بَيْتٍ تَصَدَّعَ، وَنَلْأَمَ صَدْعَ أُمَّةٍ تَنَازَعَهَا الْخِلَافُ حَتَّى كَادَ يَأْكُلُهَا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: 46].

فالوحدة ليست شعارًا نردده في المناسبات، بل هي منهج حياة، وفريضة شرعية، وأملُ نجاةٍ لأمةٍ تتقاذفها الأمواجُ في بحرِ التمزق والتشرذم.

إخوةَ الإيمان، إنّ كثيرًا من خلافاتنا المعاصرة ليست خلافاتٍ في أصول العقيدة، ولا في جوهر الرسالة، بل هي نزاعاتُ هوى، وصراعاتُ زعامة، وتأويلاتٌ خاطئة، ونزوعٌ نحو الغلبة

والتصدر، مع أنَّ النبي ﷺ قال: "لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا" [رواه مسلم].

لَمَّا اخْتَلَفَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فِي بَعْضِ الْقِرَاءَاتِ، لَمْ يَتَنَاقَصَا، وَلَا تَنَابَزَا، بَلْ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "كِلَانَا عَلَى صَوَابٍ"، فَتَبَسَّمَ زَيْدٌ، وَقَالَ: "رَزَقَ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ حِلْمًا وَفِقْهًا".

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِالْبِدْعَةِ وَيُجَالِسُ أَهْلَهَا، فَاحْذَرْهُ، وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَخْتَلِفُ مَعَكَ فِي فَرْعٍ وَيُوَادُّكَ، فَهُوَ أَخُوكَ فِي اللهِ".

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "رَأْيِي صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ، وَرَأْيُ غَيْرِي خَطَأٌ يَحْتَمِلُ الصَّوَابَ".

أي عظمةٍ هذه؟! وأي تربيةٍ تلك؟! هل سمعنا في خطاب اليوم شيئًا من ذلك؟!

أَيُّهَا الأَفَاضِلُ، لِنَصْدُقِ اللهَ، وَلْنَكُنْ شُجَعَانًا: مَا أَضْعَفَ أُمَّتَنَا إِلَّا تَنَابُذُ أَبْنَائِهَا، وَمَا زَالَتْ عَنِ الصَّدَارَةِ إِلَّا لِكَوْنِهَا صَارَتْ أَشْلَاءً، تُنَادِي كُلُّ قِطْعَةٍ: أَنَا، وَلَا غَيْرِي.

فهل آن لنا أن نفيق من هذه الغفلة؟

هل آن أن نكسر جدران الخلاف، فنُعيد للحُجْرة الواحدةِ نورها، وللصفوفِ انتظامها، وللقلوبِ مؤانستها؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10].

الخَاتِمَةُ

الحَمْدُ لِلَّهِ خِتَامًا، وَالشُّكْرُ لَهُ تِمَامًا، نَحْمَدُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلَامِ، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّلَامَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الاِتِّحَادَ لَيْسَ رَفَاهِيَّةً أَوْ تَرَفًا فِكْرِيًّا، بَلْ هُوَ فَرِيضَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، وَوَاجِبٌ شَرْعِيٌّ، وَمَنْهَجٌ نَبَوِيٌّ، وَحَاجَةٌ وُجُودِيَّةٌ لِهَذِهِ الأُمَّةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَتَرَصَّدُهَا أَنْيَابُ الأَعَادِي، وَتَتَخَطَّفُهَا مَطَامِعُ الْغَازِينَ، وَتَتَدَاعَى عَلَيْهَا الْأُمَمُ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا.

وَالْخَاسِرُ الْكَبِيرُ مِنْ فُرْقَتِنَا هُوَ الإِسْلَامُ نَفْسُهُ، وَدَعْوَتُنَا، وَرِسَالَتُنَا، وَمَسَاجِدُنَا، وَأَبْنَاؤُنَا، وَأَعْرَاضُنَا، وَأَرْضُنَا، وَقِيمُنَا.

فَلْنَصْدُقِ اللَّهَ فِي نِيَّاتِنَا، وَنُخْلِصْ فِي سَعْيِنَا، وَلْنَجْعَلْ مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ مِيثَاقَ وَعْيٍ وَوَاعِيَةٍ، نُجَدِّدُ بِهَا عَهْدَ الوَحْدَةِ، وَنَنْقُضُ بِهَا أَصْنَامَ التَّشَتُّتِ، وَنَبْنِي مَعَالِمَ الْجَمَاعَةِ.

وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ رَبِّكُمْ: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

إِنَّ مِصْرَ لَيْسَتْ قُطْرًا كَغَيْرِ الأَقْطَارِ، وَلَا أَرْضًا كَسَائِرِ الأَرَاضِي، بَلْ هِيَ صَفْحَةٌ نَيِّرَةٌ فِي كِتَابِ التَّارِيخِ، وَرُكْنٌ أَصِيلٌ فِي بِنَاءِ الْأُمَّةِ، وَعَمودٌ فِي خَيْمَةِ الْوَحْدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ. مِصْرُ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا عَلَى هَامِشِ الأَحْدَاثِ، بَلْ كَانَتْ فِي صَدَارَةِ النُّصْرَةِ وَالدِّفَاعِ عَنِ االْهُوِيَّةِ. يَوْمَ نَادَى الدِّينُ اسْتَجَابَتْ، وَيَوْمَ اسْتَغَاثَ التَّارِيخُ نَهَضَتْ، وَيَوْمَ تَفَكَّكَتِ الْأُمَمُ تَمَسَّكَتْ بِحَبْلِ الإِخَاءِ.

وَكَيْفَ لَا، وَقَدْ قَالَ فِيهَا نَبِيُّ الْهُدَى ﷺ: "إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا"[رواه مسلم من حدث أبي ذر]، فَكَانَتْ وَصِيَّةً نَبَوِيَّةً، وَشَهَادَةً خَالِدَةً، تَجْعَلُ مِصْرَ فِي مَقَامِ الرِّعَايَةِ وَالْقِيَادَةِ وَالتَّكْرِيمِ.

وَإِذَا كَانَتْ مِصْرُ مِفْتَاحَ الأَمْنِ فِي الْمِنْطَقَةِ، فَلَيْسَ عَجَبًا أَنْ تَكُونَ مَطْمَعًا لِكُلِّ مَنْ يُرِيدُ زَعْزَعَةَ الْأُمَّةِ، وَخَنْقَ وَعْيِهَا، وَتَفْتِيتَ وَحْدَتِهَا. إِنَّ أَصَابِعَ الْخَارِجِ، بِشَتَّى أَلْوَانِهَا، لَا تَكُفُّ عَنِ التَّدَخُّلِ

السَّافِرِ وَالْمُقَنَّعِ، سَوَاءٌ بِالشُّبُهَاتِ، أَوْ بِالإِشَاعَاتِ، أَوْ بِالتَّحْرِيضِ عَلَى الْفِتْنَةِ وَالِانْقِسَامِ. وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ اسْتِقْرَارَ مِصْرَ يَعْنِي اسْتِقْرَارَ الْأُمَّةِ، وَوَحْدَتَهَا هِيَ حِصْنُ الْهُوِيَّةِ وَالدِّينِ.

فَلْتَكُنْ مِصْرُ فِي عُيُونِنَا وَقُلُوبِنَا، نَبْنِيهَا بِالْوَعْيِ وَنَحْمِيهَا بِالْإِيمَانِ، وَلْنُفَوِّتْ عَلَى أَعْدَاءِ الْخَارِجِ كُلَّ ثَغْرَةٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَنْفُذُوا مِنْهَا، لِتَبْقَى عَلَى الدَّوَامِ حَامِلَةً لِرَايَةِ الْوَحْدَةِ وَالْكَرَامَةِ فِي زَمَنٍ تَتَجَاذَبُهُ الرِّيَاحُ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَمْلَنَا، وَوَحِّدْ كَلِمَتَنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاجْعَلْنَا إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ.

اللَّهُمَّ اجْمَعْ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَانْصُرْهُمْ وَاحْفَظْهُمْ، وَاكْفِهِمْ شَرَّ أَعْدَائِهِمْ، وَارْزُقْهُمُ الْوِفَاقَ وَالْخَيْرَ وَالْوِدَادَ.

آمِينَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

www.doaah.com facebook.com/aldo3ah youtube.com/doaahNews1

الخطبة الثانية

التَّحْذِيرُ مِنَ العُنْفِ الأُسْرِيِّ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَوَدَّةَ وَالرَّحْمَةَ أُسُسًا فِي بِنَاءِ الْبُيُوتِ، وَرَفَعَ مَنْهَاجَ الْحَيَاةِ عَلَى الْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَنَهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قُدْوَةُ الْخَلْقِ فِي الرَّحْمَةِ، وَمِيزَانُ الْعَدْلِ فِي الْبَيْتِ وَالْمُجْتَمَعِ. صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

مَعْنَى العُنْفِ الأُسْرِيِّ وَخُطُورَتُهُ

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، العُنْفُ الأُسْرِيُّ هُوَ كُلُّ تَصَرُّفٍ يُلْحِقُ أَذًى جَسَدِيًّا أَوْ نَفْسِيًّا بِأَحَدِ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ. فَهُوَ خَرْقٌ لِمِيثَاقِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزٌ لِحُدُودِ الإِنْسَانِيَّةِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: 19]، وَالْمَعْرُوفُ لَيْسَ صَرْخَةً، وَلَا لَطْمَةً، وَلَا إِهَانَةً، بَلْ تَبَسُّمٌ، وَكَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ، وَصَبْرٌ عَلَى الزَّلَّةِ.

وَقَدْ سُئِلَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ -وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ زَيْنُ الْعَابِدِينَ- عَنْ حُسْنِ الْعِشْرَةِ، فَقَالَ: "أَنْ تَحْتَمِلَ مَا تَكْرَهُ مِمَّنْ تُحِبُّ"، فَكَانَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَى زَوْجَتِهِ، وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْتَسِبُهُ عِنْدَكَ".

النَّبِيُّ ﷺ قُدْوَةٌ فِي الرَّحْمَةِ وَحُسْنِ الْمُعَامَلَةِ

مَا ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ زَوْجَةً، وَلَا خَادِمًا، بَلْ كَانَ فِي بَيْتِهِ بَسَّامًا، يُوَاسِي، وَيُرَاعِي، وَيُطَيِّبُ الْخَوَاطِرَ. قَالَتْ عَائِشَةُ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-: "كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ"[رواه البخاري]، أَيْ: فِي خِدْمَتِهِمْ، يَرْقَعُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ.

وَإِذَا نَظَرْنَا فِي سِيرَةِ السَّلَفِ، وَجَدْنَا الْحُسْنَ وَالْحِلْمَ مَشْهُودَيْنِ. كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، ضَاحِكًا مُبْتَسِمًا، وَإِذَا خَرَجَ دَعَا لَهُمْ بِالْبَرَكَةِ، فَتَحْتَ بَيْتِهِ نَبَتَتْ سَكَائِنُ الْمَحَبَّةِ.

آثَارُ العُنْفِ وَوَاجِبُنَا فِي الإِصْلَاحِ

إِخْوَةَ الإِيمَانِ، كَمْ مِنْ بَيْتٍ انْهَدَمَ لِكَلِمَةٍ، وَكَمْ مِنْ قَلْبٍ تَفَطَّرَ لِصَرْخَةٍ، وَكَمْ مِنْ أُمٍّ بَكَتْ لَيْلًا؛ لِعُقُوقِ وَلَدٍ، أَوْ ضَرْبِ زَوْجٍ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "مَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْحِلْمُ، إِلَّا كَثُرَ خَيْرُهُمْ".

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَحَدَ التَّابِعِينَ كَانَ يَقُولُ: "رَضَاهَا عَنْكَ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ نَافِلَةٍ"، يُشِيرُ إِلَى الزَّوْجَةِ، فَفِي الرِّضَا بَرَكَةٌ، وَفِي اللِّينِ سَكِينَةٌ، وَفِي الْعُنْفِ دَمَارٌ وَحَسْرَةٌ.

يَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، احْفَظُوا بُيُوتَكُمْ بِالرَّحْمَةِ، وَعَالِجُوا أَخْطَاءَكُمْ بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، وَلَا تَجْعَلُوا الْمَحَابَّ تَذْبُلُ فِي جَوٍّ مَسْمُومٍ بِالْغِلْظَةِ وَالْقَسْوَةِ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ" [رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ بِزِيَادَة وَقَالَ: حَدِيث حسن صَحِيح].

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ بُيُوتَنَا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَاجْعَلْهَا سَكَنًا وَمَوَدَّةً وَرَحْمَةً، وَجَنِّبْنَا مَزَالِقَ الْعُنْفِ وَالْغَضَبِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ قَدْوَتُهُمْ نَبِيُّكَ، وَسُنَّتُهُمُ الْحِلْمُ وَالْحَزْمُ.

آمِينَ آمِينَ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

رئيس التحرير: د. أحمد رمضان

خُطبةُ صوتِ الدعاةِ